المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد: 04، العدد: 02 (2020)، ص236-248

الطلبة الجزائريون في الزيتونة ومساهمتهم في الثورة الجزائرية
ـ الشيخ محمد الصالح الصديق أنموذجا ـ

Algerian students in Zitouna and their contribution to the Algerian revolution
Sheikh Muhammad Al-Saleh Al-Siddiq as a Model

أبوبكر الصديق حميدي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)
hamidiboubakeur@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2020/11/05
تاريخ القبول: 2020/11/28
تاريخ النشر:2020/12/09

الكلمات المفتاحية:
- ✓محمد الصالح الصديق
- ✓طلبة الزيتونة
- ✓الجبهة الليبية
- ✓المرشد السياسي
- ✓أعلام الإصلاح

الملخص:

مثلت شخصية الشيخ محمد الصالح الصديق ظاهرة متميزة ونموذجا متعدد المواهب، وصاحب الإرادة القوية في تحدي الصعاب والظروف، فجمع بين حبه للعلم والوطن، وبين العمل السياسي والثوري، بين قوة الشخصية وتجانسه مع العمل الجماعي، بين الخطابة والقلم السيال، ظل متنقلا بين جبهات الفكر والعمل الثوري. وأظهر عطاء متميزا سواء أثناء كونه طالبا بتونس أو أثناء انتقاله للجبهة الليبية. فقد خلق روح التواصل بين الشعبين الليبي والجزائري ولم يقتصر هذا على القيادات الرسمية ولكنه خلق أجواء عامة ساهمت في تمسك الشعب الليبي بالدعم المستمر للجزائر بكل قواه المتاحة من مال وجلب للسلاح. وبعد الاستقلال أكمل مسيرته في الكتابة والعطاء، كبير الهمة في أفقه متواضعا مع محاوريه، لا يعرف النكوص أمام دعوة الواجب لوطنه. له الإرادة القوية والنهم الكبير والإقبال العجيب على الكتابة، فهذا القلم السيال الذي لم ينقطع منذ نعومة أظافره، حتى صار لوحده مكتبة قائمة بذاتها تجاوزت المائة كتاب بين الأدب والشعر والمذكرات والتاريخ والمواقف...وهذا العمل الجبار كان يجري في عمومه بعيدا عن الأضواء وحب الظهور وطلب التموقع الوظيفي أو الكسب.

Article info

Received :05/11/2020
Accepted:28/11/2020
Publication:09/12/2020

Key words:
- ✓ Muhammad Al-Saleh Al-Siddiq
- ✓ Zaytouna students
- ✓ Libyan front
- ✓ Political guide

Abstract:

The personality of Sheikh Muhammad Al-Saleh Al-Siddiq represented a distinct phenomenon and a multi-talented model, and he possessed the strong will to challenge difficulties and circumstances, so he combined his love for science and the homeland, between political and revolutionary work, between the strength of personality and its homogeneity with collective action, between rhetoric and pen pen, he kept moving between fronts of thought and action Revolutionary. And he showed outstanding tender, both while he was a student in Tunisia or during his transfer to the Libyan front. It created a spirit of communication between the Libyan and Algerian peoples, and this was not limited to the official leaderships, but it created a

✓ intelligentsia	general atmosphere that contributed to the Libyan people's adherence to the continuous support of Algeria with all its available powers of money and arms. After independence, he continued his career in writing and giving, with great energy in his horizon, humble with his interlocutors, and he did not know to regress before the call of duty to his homeland. He has a strong will, great hunger, and a wondrous turnout for writing, for this flowing pen that has not been cut off from the earliest age, until it became a stand alone library that exceeded a hundred books between literature, poetry, notes, history and positions ... and this mighty work was carried out in its entirety, far from the lights and the love of appearance And he sought employment or earning status.

. مقدمة:

الشيخ محمد الصالح الصديق من مواليد 19ديسمبر 1925 في قرية أبي زار، بدائرة العزازقة حاليا، وقد تناولنا هذه الشخصية لما حملته من إرادة قوية في تحدي الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية الموجودة خلال الفترة الاستعمارية. والتي تزامنت مع مرحلة تكوين شخصيته وطنيا وعلميا وفكريا. بل كانت له بصمات مستمرة بالقلم والممارسة في العمل الوطني خلال الثورة وما بعدها، فرغم الاضطهاد الاستعماري والحاجة المادية الماسة فلم يكن ذلك حائلا دون أهدافه في مواصلة الدراسة أو الانتقال إلى تونس أو الانخراط في العمل الثوري الوطني وتحدي الصعاب. إن الكتابة عن مثل هذه الشخصيات لها عدة آثار أهداف: أنها عامل مؤثر من خلال المواقف والأعمال، ومن جهة أخرى هي تكريم لهم بإظهار هذه الأعمال والمواقف سواء في حياتهم أو بعد مماتهم، كما يمكن إثراء الموضوع المتناول من خلال إثارته وترك الأقلام تزيد إيضاحا سواء من قبل المعني أو غيره. ولكن الذي شدني للكتابة عن هذا الرجل هي الإرادة القوية والنهم الكبير والإقبال العجيب على الكتابة، فهذا القلم السيال الذي لم ينقطع منذ نعومة أظافره، حتى صار لوحده مكتبة قائمة بذاتها تجاوزت المائة كتاب [1]. وهو الذي قال "... **وسنظل مادام فينا عرق ينبض بالحياة، نجاهد بالكلمة الصادقة. مستمدين القوة والمعونة من الله تعالى، ولن يخيب الله أبدا من استعان به واعتمد عليه**" [2].

وبالتالي فإنه جدير بالذكر بالدراسة والاهتمام واستعراض مسيرة هذا المثقف مع القلم والكتابة والأحداث الوطنية، وما هي مكامن الإرادة التي وفرت له هذه الطاقة المتدفقة من الجهد والكتابة؟ وماهي الأبعاد والأفكار التي تحملها كتاباته؟ ومدى تناغمها مع التطور الاجتماعي والسياسي والثقافي للجزائر؟ مع أنه ليس في مقدور أمثالنا من يقيم مثل هؤلاء، فحروفنا تخجل أمام ثقل مكتبته ولكنه، من باب إظهار هذه الطاقة العجيبة التي لم تنحني أمام العواصف السياسية والظروف الصعبة التي غالبا ما استكان لها الكثير.

2. الشيخ محمد الصالح الصديق يصنع التميز

يعد محمد الصالح الصديق من الشخصيات القلائل التي أعادت القراءة في القول الذي يسري على المغاربة والجزائريين بأنهم لا يكتبون وأن قلمهم جاف وحذرين في الكتابة وإصدار الأحكام [3]. كما أنه بالموازاة لم يقصر في المساهمة في العمل الوطني سواء قبل الثورة أو أثنائها، فهو الوجه الآخر من صورة المثقف الجزائري الذي وازن بين التنظير لأفكاره ومحاكاة التطور السياسي والاجتماعي لوطنه وخاصة خلال المرحلة الحرجة (الثورة التحريرية). كما أنه يعود من جديد إلى الدور المنوط به في عالم الأفكار والكتابة والتأريخ للأحداث، وتقديم الشهادات التي عاشها داخل الوطن وخارجه في محاولة لإكمال مسيرته الأولى وتكوين الذاكرة الوطنية من خلال هذه الكتابات التي تنوعت بين الأدب والشعر والمذكرات والتاريخ والمواقف...وهذا العمل الجبار كان يجري في عمومه بعيدا عن الأضواء وحب الظهور وطلب التموقع الوظيفي أو الكسب.

3. المشارب الثقافية والعلمية

لقد نشأ هذا الرجل في بيئة علمية محافظة، توارثت العلم والتدريس، ولذلك فيمكن القول أنه الحافظ ابن الحافظ بن الحافظ للقرآن الكريم [4]، فهذه النشأة في وسط ديني محافظ متعلم كان دافعا له على أن يكون الشعلة الوضاءة في العائلة وإضافة فيها واستمرار لها ويبدوا أن والده محمد البشير [5] الذي لم يكمل دراسته بتونس وعرف قيمة هذه الحاضرة العلمية أراد أن لا يحرم ابنه من أن ينهل منها فشجعه وكلف نفسه على إيفاده إلى تونس للدراسة في الزيتونة حتى يزداد علما ويختلط مع جهابذة الإصلاح.

وبالتالي فهذا المنبت في عائلة مثقفة ومجاهدة [6] له أثر بالغ في تكوين محمد الصالح الصديق، فتوفرت له البيئة المناسبة المشجعة على العلم، وتواقة لإصلاح الأوضاع، وتتألم لحال الوطن تحت كنف الاستعمار وبالتالي فهي تحمل . العائلة . ضروب الإصلاح والنهضة بالوطن والعمل له بما يتناسب وكل مرحلة فتارة بالتدريس وغرس الهوية الوطنية، وأخرى بالجهاد في وجه العدو، وأخرى بالقلم والكتابة ويشحذ الهمم وهي صفات قلما تجتمع في شخص.

كما أن ظروف النهضة التي كانت تعيشها الجزائر كان محمد الصالح وعائلته على صلة بها، فأبوه كان من التواقين لتصفح الشهاب والبصائر ومعجبا بأفكارهما. وبالتالي فإن الفكر الإصلاحي هو الذي احتضن الرجل منذ سن مبكر، وجعله يطلع على مختلف الصحف الإصلاحية [7] وهي تدل على التعلق بأفكار النهضة والتنور بأفكار جديدة، والاطلاع على ما يدور في العالم الإسلامي ورواد الإصلاح.

كما أن والده الذي حرص على تحفيظه القرآن الكريم وهو في سن التاسعة من عمره، وفي هذه السنة بالذات أخذه معه للعاصمة والتقي مع توفيق المدني والطيب العقبي، وعبد الحميد بن باديس [8]، وما أبدوه من إعجاب به، كل هذه المعالم التي غُرست في ذهن الشاب رفعت من همته في سن مبكرة وتعلقه بالعلم، والكتابة والإصلاح وأراد أن يكون مثلهم، وخاصة أنه امتلك من المؤهلات الشخصية ما يساعده على ذلك، من قوة الحفظ والتلقي وشغفه المزايد للعلم والكتابة وحفظه للقرآن الكريم، وربما هذه الأمور كلها والذاكرة القوية هي التي ساعدته على كتابة الكثير من الكتب المتعلقة بمذكرات حياته وعن علاقاته، وهذا بعد أمد كبير [9].

كان انتقاله في سن مبكرة (خمسة عشرة سنة) إلى زاوية عبد الرحمن اليلولي ليدرس على أيدي مشايخ لهم صيتهم وعلى رأسهم الشيخ أرزقي الشرفاوي [10] الذي تخرج من مصر، فتلقى عليه علوم اللغة العربية والفقه ومما ساعده على ذلك حفظه المسبق لمتون اللغة والفقه قبل مجيئه للزاوية، ولذلك أظهر قدرة فائقة بين نظرائه وحظي بإجازات في سن مبكرة وهو ما حمله إلى التطلع نحو مزيد من العلم، فأراد التوجه إلى تونس وهي المحطة التي اكتمل فيها تحصيله وبدأت تظهر فيها إبداعاته الأدبية والفكرية، ويختلط فيها برواد النهضة، وأفكار الحركة الوطنية، وانتقل من مرحلة المتلقي إلى المؤثر، المنتج، متأثرا بالظروف الجديدة التي ألمت بالجزائر بعد الحرب العالمية الثانية فكان متفاعلا معها بالقلم والجوارح والسلوك.

4.الزيتونة وتفتق المواهب وبداية العطاء الفكري والوطني

قبل الحديث عن علاقة الشيخ محمد الصالح الصديق بالزيتونة لابد من وضع السياق الذي ربط بين المثقف الجزائري والزيتونة التي كانت قبلة لطالبي العلم في الجزائر، ويمكن أن نقسم هذه الهجرة الطلابية إلى أربعة مراحل:

ـ 1876 ـ 1912 وسماها أحد الدارسين للموضوع بمرحلة المخاض وابتدأت بعمر بن مبارك (من تبسة).

ـ 1912 ـ 1940 وأطلق عليها بمرحلة الصحوة وضمت ما يفوق 764 طالبا.

ـ 1941 ـ 1956 وهي مرحلة الأوج والتي كان العطاء العلمي فيها كبيرا وتجاوز عدد الشهادات 81 شهادة الأهلية و31 شهادة التحصيل وضمن هذه المرحلة تمت تبعية معهد ابن باديس للزيتونة، كما كان الأستاذ محمد الصالح ضمن هذه الكوكبة من الطلبة.

ـ بعد 1956 وأطلق عليها مرحلة الحصاد وضمت 563 طالبا حصل منهم 150 على شهادة التحصيل و201 على الأهلية و06 على العالمية [11].

وقد أوردنا هذه الإحصائيات والمراحل للوقوف على مكانة الزيتونة في التكوين العام للنخبة الجزائرية والأعداد الهائلة التي تخرجت منها، والجدير بالذكر أن معظم هذه الفئة المتعلمة قد رجع للجزائر وكانت له مساهم فعالة في الحياة التعليمية والفكرية والثقافية بالجزائر وانخرط جلها في العمل الثوري بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ومنهم من تولى العمل السياسي والدعاية والدبلوماسية، وكان حظ مترجمنا في هذا الجانب.

وصل محمد الصالح الصديق إلى الزيتونة في 28 أوت 1946 بعد طول أمل وانتظار من أجل الرخصة الفرنسية لكنه لم يحصل عليها، وسجن في الطريق (تبسة) وتلقى معاناة كبيرة انتهت به في جامع الزيتونة الذي كان يضم الكثير من الطلبة الجزائريين الذين قارب عددهم في نهاية الأربعينات 1200 طالبا. وكان انخراطه بالزيتونة في السنة الدراسية 1946-1947 بدخوله للسنة الثالثة مباشرة بعد امتحان بالكفاءة وفي هذه المرحلة تتلمذ على أيدي مشايخ أجلاء أمثال الجريدي، أحمد حسين، مختار الوزير، محمد بوشربية [12].

وفي هذه المرحلة الدراسية أظهر تفوقه على أقرانه حتى نال شهادة التحصيل والأهلية سنة 1951، وخلال دراسته أنجز تأليف كتاب أدباء التحصيل 1951 وهو في أربعة أجزاء [13]، وهذا العمل هو فاتحة سير جارف من المؤلفات. وقد قال فيه زميله وصديقه عبد الرحمان شيبان "**وهب الله للأخ الأستاذ الفاضل محمد الصالح الصديق فكرا فسيحا ولسانا فصيحا وقلما حصيفا وإرادة فعالة في ميادين شتى لا تمل ولا تكل فتعدد مساعيه وأثمرت جهوده**" [14].

5. الإنتاج العلمي لمحمد الصالح الصديق

يعد محمد الصالح الصديق كما أشرنا في البداية ظاهرة متميزة في الكتابة التي بدأها في الزيتونة ولازالت لم تنته إلى اليوم. وتميزت أعماله بفكر موسوعي ومعارف جمة، وهي موزعة على عدة فنون يمكن تصنيفها إلى:

- كتب تتعلق بالأعلام والعلماء والشخصيات وهي تربو عن 14 كتابا.
- كتب تتعلق بالأدب والحياة والخواطر وعددها حوالي 33 كتابا.
- كتب تتعلق بالدين (الأخلاق والعبادات، الإيمان، السير، روائع الإسلام، التفسير، العقيدة، الاجتهاد والتجديد،...) وتجاوز عددها 36 كتابا.
- كتب تتعلق بالثورة الجزائرية، أعلام المغرب العربي، وتجاوزت العشرين كتابا.

ـ مئات المقالات التي نشرت في الصحف والمجلات داخل الوطن وخارجه منذ شبابه إلى اليوم (مجلة الطالب الزيتوني، وحي الشباب، (تونس) وفي الجزائر كتب في الأصالة، الثقافة، أول نوفمبر، النصر، البصائر، العصر، الشروق، ونشر في صحف ليبية أيضا: طرابلس الغرب، الطليعة، الليبي، الميدان، الرائد، فزان ومجلة الإذاعة [15].

6. نضاله الفكري والإصلاحي

إن التكوين الذي تلقاه في صغره وجرائد الإصلاح التي كانت تعمر البيت، ووالده الذي كان على خلطة بعلماء الإصلاح ورجال حزب الشعب، وما تشبع به من روح وطنية وأفكار خلال تواجده بتونس ولذلك لما عاد للوطن كان التحدي الأكبر أمامه هو نقل هذه المعرفة والفكر إلى أبناء وطنه مؤكدا أن طلب العلم هو أوجب الفرائض. وعرف أن شعبه يحتاج إليه كثيرا في هذه المرحلة لرفع ظلمة الأمية، وغرس العقيدة والأفكار الوطنية ومحاربة الدجل الطرقي، وأن التعليم في هذه المرحلة هو واجب الوقت فكانت له جهود جبارة في إصلاح مناهج الزاوية اليلولية وتحديث وتنويع دروس العلم، واستحداث المحاضرات العامة لغرس الوطنية، وتوضيح المفاهيم الغامضة، وتنوير الرأي العام وتهذيب الأخلاق، والشعور بالعزة، والانتماء العربي الإسلامي [16].

وبعث الأمل والحياة في الناشئة أمام طغيان الاستعمار، وكان يعتبر أن هذا العمل هو صميم الجهاد في هذه المرحلة، فبعث في المنطقة الحيوية وتعاون مع غيره في انجاز هذا المشروع التعليمي رغم المصاعب الجمة ولكنه تكيف مع الظروف، ونظرا لكون والده كان على علاقة بمناضلي حزب الشعب، فكان محمد الصالح الصديق على صلة بهم أيضا، ويحضرون مجالسه ليحدثهم عن الفكر الإسلامي، وعن التحرر، وعن تاريخ الجزائر، وكان دائما يبدي إعجابه بما تقدمه جمعية العلماء، وحزب الشعب، وكانوا كثيري التردد عليه وطرح الأسئلة عليه، وفي لقاء له مع عمار أوعمران قال له إن الحرية لا توهب، بل تؤخذ بقوة الإيمان والكفاح والاستعداد والسلاح [17]. وظل عمل محمد الصالح الصديق يعمل في الزاوية ولكنه أيضا يلقن الوطنية وشرعية الكفاح والإعداد المادي والمعنوي، ونشر الوعي، ويشير أنه جمعته عدة لقاءات مع قادة الحركة الوطنية وعلى رأسهم عمر أوعمران، وعمار بن عودة [18]، اللذان حادثاه في قضية رفع السلاح في وجه المحتل كما ذكرت سابقا.

7. الرحلة الكبرى من العلم إلى العمل الثوري

إن الحديث عن النخبة المثقفة هو ذاته بحث في علم السياسة وعلم الاجتماع والتطور السوسيولوجي لأنه يربط بين تطور النخبة وظاهرة التغير الاجتماعي والسياسي وهناك من قال: "**أن تطور النخبة**

السياسية والعلمية في الجزائر كان أحد العوامل الرئيسية التي أوجدت ظاهرة الثورة وما انعكست به على المنطقة كلها" [19]، كما أن النخبة المثقفة التي شاركت في الثورة كانت لها مساهمة في مسار الأجيال للمجتمع الجزائري من خلال السلطة التي صنعت توجهات الدولة والمجتمع أو التكوين الثقافي والفكري والتربية المستمرة لأبناء المجتمع، ونعتقد أن محمد الصالح الصديق ممن كانت له مساهمة في هذا المسار الأخير بشكل واضح.

إنها الرحلة التي تشكل الانتقال من علم الدرس والقلم والمحاضرة والتنظير إلى عالم التنظيم والترحال واليقظة والسلاح، إنها تبدو صعبة وغريبة، ولكن المتمعن في التكوين الشخصي له فإنه ليس من ذوي الدعة والرقة ورغد العيش بل عانى من قساوة الحياة والجوع والغربة، واضطهاد الفكر والاغتراب عن الوطن بفعل ممارسات المستعمر ولذلك كان متجاوبا منذ الوهلة الأولى مع اندلاع الثورة فهيأ نفسه على مزيد من الاخشوشان والصعاب والمخاطر واستقر على أن واجب التدريس قد تحول إلى واجب الجهاد. فكانت له رحلة جديدة مع الثورة بمسقط رأسه ومكان عمله ثم انتقاله عبر وهران وباريس إلى تونس وليبيا وظل في جبهات التنظيم والدعاية والوساطة والدبلوماسية حتى الاستقلال، فكان له البلاء الحسن لأن علمه وسعة صدره وصبره أهله لذلك.

إنها فعلا رحلة المثقف إلى الثورة، وهي ظاهرة عامة لدى الثورات ولكن أن ينتقل مدرس وكاتب إلى جبهة السلاح والتنظيم والدبلوماسية العسكرية دون مراحل فذلك الأصعب، كما أن الثورة الجزائرية انخرطت فيها جميع فئات المجتمع في لحظة تحول تاريخي وفرضت على الجميع أن يتكون في الميدان وكل في المهمة التي أوكلت إليه، كما أن المخاض الذي كانت الحركة الوطنية تخوضه من أحزاب وإصلاح وتعليم وتوعية كان الرافد الذي هيأ الظروف والنفوس كي تتجاوب مع الثورة كل من موقعه، ولعل مترجمنا كان أقرب الناس إلى هذا الأمر ولذلك كان زعماء الحركة الوطنية يترددون عليه بل ويفاتحونه في هذا الموضوع وكان تخمينهم صائبا، بانخراطه في العنفوان الثوري.

8. الانخراط في العمل الثوري

لقد كانت علاقاته جد مبكرة مع التيار الذي يحضر للثورة ثم تولي قيادتها بالمنطقة، ومنهم عمر أوعمران كما ذكرنا سابقا، ومحمد أعزورن كذلك. وبالموازاة يواصل نشاطه الإصلاحي ويحث على الدعوة والجهاد في كل فرصة تسمح له، وكان والده على اتصال بهذه الشخصيات ومنهم محمد أعزورن الذي التقى به محمد الصالح الصديق عند والده في 30 أكتوبر 1954 وكان الحديث عن الثورة، وسأل مترجمنا عن تاريخها فأجابه الأول أنها آتية وأن حالها مثل قيام الساعة، وكان رد محمد الصالح: لقيام الساعة

علامات [20]. ويدل هذا أن الجميع كانوا على تناغم بأن موعد الثورة قد حان، وأن محمد الصالح كان على استعد لأداء دوره، وكان من أولى المهام التي تولاها: القيام بمهمة جمع السلاح والمال ودامت هذه المهمة من بداية الثورة إلى سنة 1956 وسهل له هذا العمل علاقاته مع السكان وأخلاقه ومصداقيته، فيقنع الناس بالعطاء المالي أو تقديم السلاح، وفي نفس الوقت يواصل مهمته التعليمية ويقدم الدروس للمجاهدين [21] حاثا إياهم على الثبات، والوحدة وتقديم وروائع التاريخ الإسلامي في الجهاد، وقيمة المجاهد عند ربه، شارحا لهم آيات الجهاد والإعداد والثبات ووعد الجنة، وكانت زاويته (عبد الرحمن اليلولي). مكانا للتدريس والحث على الجهاد، ومركزا للقاء قادة الثورة، وتخرج من هذه الزاوية أكثر من ألف طالب ممن انخرط في الثورة كل حسب موقعه، من مناطق مختلفة من الوطن.

ولم يكتف بجهده الخاص بل حمل نفسه على إقناع النخبة المثقفة ممن يعرفهم شرعية الثورة، أو مفاتحتهم بالحديث عن الثورة ليعرف مواقفهم، ومدى قابليتهم بالانخراط فيها ومن هؤلاء باعزيز بن عمر، الشيخ أحمد حسين [22]، إبراهيم بوسحاقي [23]، ومحمد الأخضر السائحي [24]. ومحمد كتو. وفي هذا المضمار وعن طريقة عمله يقول أن القيادة الثورية للولاية الثالثة التي كان على رأسها كريم بلقاسم، ومحمدي السعيد، ومحمد اعزوزن أرسلته إلى العاصمة بعد ستة أشهر للاتصال ببعض المثقفين ومعرفة مواقفهم وقابليتهم للعمل مع الثورة وخاصة الذين ينحدرون من منطقة القبائل. ويذكر أنه كان يعتمد على جس النبض لمحدثه أولا حسب تعليمات القيادة من خلال ذكر الثورة بالنقد والطعن لمعرفة رد الفعل [25].

حتى لا تكون مغامرة غير محسوبة، فإذا وجد تجاوبا مع الثورة فتح الموضوع. وبهذه الطريقة انظم الكثير ممن ذكرناهم أو لم نذكر للثورة، ونعتقد أنها كانت طريقة ناجحة في استدراج النخبة المثقفة من خلال توظيف عناصرها الفاعلة والتي تتمتع بمصداقية وجعلها تندمج في الثورة بشكل يؤمن حياتها ويجنب الثورة الكثير من المزالق. إلا أن كثرة تحركاته ومراقبة السلطات الفرنسية فاستنطقته عدة مرات وحمل هذا الاشتغال لقيادة الثورة طالبا منهم الالتحاق بالجبل، ولكن قرار القيادة وعلى رأسهم كريم بلقاسم، كان بالخروج من الوطن عبر باريس نحو تونس، وأعطيت له بطاقة شخص آخر لينتحل شخصيته [26]. وكانت هذه الرحلة عبر وهران ثم باريس حيث كانت قيادة الثورة هيأت له كل الظروف للإقامة ثم الانتقال نحو تونس وكانت رحلة تحفها المخاطر الكثيرة [27].

9. تونس حاضنة العلم والجهاد

كانت قيادة الثورة في تونس وعلى رأسها علي محساس استقبلت محمد الصالح الصديق [28] وعينه مع فريق تحرير جريدة المقاوم مع عبد الرحمان شيبان، وعبد الله شريط، وإبراهيم مزهودي والنص الفرنسي

من طرف عبد الرزاق شنتوف، والدكتور فرانس فانون [29]، وكانت فرصة جديدة له ليجعل قلمه السيال يلتهب عطاء وكانت جريدة المقاومة الحقل الخصب له فكانت تونس ثاني مكان له ولكنه في خضم العمل السياسي والثوري وبين ثلة من أبناء منطقته ووطنه وزملائه القدامى في الزيتونة. مسخرا كل ما في جهده لأداء رسالة الجهاد بالقلم والتوجيه، وظل على هذا المنوال لمدة سنة كاملة ليحال إلى مهمة أخرى.

10. المثقف يتحول إلى المرشد السياسي في الجبهة الأمامية بفزان الليبية

ارتأت قيادة الثورة أن توجه فيلقا عسكريا إلى الجنوب الغربي الليبي (فزان) لشن هجومات عسكرية على فرنسا داخل الجزائر بقيادة الرائد "**إيدير**" والمرشد السياسي محمد الصالح الصديق على رأس قوة عسكرية قوامها 600 جندي [30].

وظل يؤدي هذه المهمة من محاضرات، ورفع للمعنويات ورفع للتقارير للقيادة في تونس لمدة خمسة أشهر، وفي نفس الوقت لم يفارقه قلم الكتابة والتأليف ورغم الخلاف مع ليبيا نظرا للضغط الذي مارسته فرنسا على ليبيا من أجل إيقاف العمليات العسكرية على فرنسا فإن مترجمنا استطاع مع زملائه إقناع الوفد الليبي بقيادة العميد عبد الرحمان بادي المصراتي على استمرار التعاون الليبي الجزائري والبقاء في منطقة فزان.

11. المحطة الكبرى لمسيرته في الثورة بليبيا

بعد أن عاد من فزان إلى العاصمة تونس طلبت منه قيادة الثورة التوجه إلى طرابلس في جانفي 1958 [31] في مهمة مسؤول الدعاية والإعلام لدى مكتب الثورة التحريرية بطرابلس وقد اختير لهذه المهمة لما رأوه فيه من قلم سيال، وخطيب مفوه، وحرص على المعلومة ودقتها وتوثيقها والالتزام بالمهمة الموكلة إليه والرجل الحرص على الوقت، والذي يملك قوة اللغة والذوق الفني وكيف لا وهو الأديب النابغ منذ نعومة أظافره وزاده صقلا في العقل والفكر حب الوطن والعلم. فكان توجيهه لهذه المهمة نعم الاختيار. فقد أبلى واجتهد في القيام بالمسؤوليات المنوطة به من خلال الدعاية المستمرة لصالح الثورة: المقالات المتدفقة على مختلف الجرائد، الحصص المسموعة في صوت الجزائر بإذاعة ليبيا، الانتقال إلى العواصم العربية والاتصال بزعمائه، الدعاية والتحسيس بضرورة التضامن مع الثورة الجزائرية من جمع المال والسلاح [32].

وقيل أن العقيد أوعمران عمار صاحبه إلى مكان عمله بليبيا وقد أعجب به الصحافي الليبي الذي هو الآخر سخر قلمه لصالح الثورة الجزائرية "**الطاهر نعاس**" الذي كان على صلة قوية بالأستاذ محمد الصالح الصديق وقال عنه "**كان معنا في ليبيا يناضل بالكلمة، ويعرف بواقع المعركة الجهادية بالجزائر**،

ويشرح أهداف هذا الجهاد... عرفته شعلة من النشاط والحركة... ورأيته وسط إخوته الجزائريين والليبيين مثلا حيا للعمل الهادف والآمال الطموحة والرؤى المشرقة الرائعة... كانت كل الظروف من حولهم تثبط من الهمم وتوهي من العزائم، لكنهم كانوا فوق كل الظروف الرديئة وفوق كل الأوضاع الفاسدة، ولا يرون بديلا للحق ولا مساومة على الاستقلال والحرية" [33] .

وفي ليبيا كانت له جولة وصولة في العطاء لجهادي الفكري والقلمي متمثلا في عدة أوجه:

ـ **العمل الإذاعي:** الذي كان يؤديه في صوت الجزائر [34] ثلاث مرات في الأسبوع ولمدة نصف ساعة رافعا للهمم، وفاضحا للسياسة الاستعمارية وعارضا انتصارات جيش التحرير، وشارحا مراحل الجهاد للشعب الجزائري الذي لم يستسلم منذ الاحتلال، ورادا على كل تظليل استعماري.

ـ **اللقاءات العامة والندوات:** لقد حاول تعبئة الرأي العام الليبي وكذلك السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي المقيم بطرابلس من خلال الندوات والأيام الدراسية التي أقامها، وعادة ما تكون في المركز الثقافي المصري بطرابلس، وكان لها مفعولها في دعم الثورة ماديا ومعنويا وقد جمع هذه الأعمال في كتابي: " **من وحي الثورة الجزائرية**" و"**الجزائر بين الماضي والحاضر** " وهذا يدل على أن هذا الجهد كان مضنيا وطويلا، وكان يشارك الشعب الليبي في احتفالاته أيضا ممثلا لجبهة التحرير الوطني مثل احتفال يوم النصر بمصراته". [35]

ـ **اللقاء مع الشخصيات والدبلوماسيين:** سواء الليبية منها أمثال الهادي المشرقي، ومحمود صبحي، ويوسف مادي الذي تكلم عنه في أكثر من مناسبة ربطته به، وسعد الشريف، وناصف مختار، وهذه الشخصيات لها وزنها في ليبيا فكانت له عونا ماديا وفكريا وسياسيا لحساب قضية الجزائر. كما كانت له لقاءات مع بعض الدبلوماسيين العرب مثل السفراء، وكذلك سفير روسيا.

وقد قال عنه محمد الطاهر آيت علجت أن أخلاقه القرآنية جعلت منه لطيف المعشر خفيف الظل كريم النفس، عذب الحديث مما جعله محط الأنظار حينما كان مسؤولا عن الدعاية أثناء الثورة الجزائرية بليبيا، فكان مكتبه يغص بمختلف الطبقات، أناس عاديين وأدباء وعلماء وحكوميين ودبلوماسيين ومسلمين وغير مسلمين ولا يخرج أحد من عنده إلا وهو منشرح الصدر [36].

ـ **العمل الصحفي:** إنه العمل الجبار الذي لا يكل ولا يمل منه وهو الكتابة فهو متيم بها، فكانت مقالاته لا تنقطع عن جرائد الطليعة، وطرابلس الغرب وظل على هذا المنوال حتى نهاية الثورة.

ـ **التأليف:** أثناء إقامته في ليبيا جادت قريحته وقلمه بأربعة كتب أثرى بها المكتبة العربية وهي على التوالي: صور من البطولة، عميروش، من قلب اللهب، الجزائر الماضي والحاضر. [37]

ـ **المساهمة في رعاية الأيتام الجزائريات:** وهذا من خلال المركز الذي أقامته الثورة في ليبيا لرعاية بنات الشهداء وكان السيد مادي يوسف قد تكفل بهذه المهمة سنة 1958 وقيل أن عددهن بلغ الثمانين بنتا، ومن حين لآخر كانت هدايا الملك السنوسي تَرِدُ إلى هذا المركز وكان محمد الصالح الصديق ضمن المنسقين في هذه الأمور وفي إحدى المرات في ظل غياب رئيس الوفد الجزائري أحمد بودة كان الملك الليبي قد طلب تبني فتاتا جزائرية رمزا للرعاية واحتضان أبناء الجزائر، فوافقه محمد الصالح الصديق على ذلك وهو في حيرة من أمره من موقف القيادة، ولكن حسب روايته أنها باركت الأمر واعتبرته تصرفا حكيما، وساهم في استمرار الدعم الليبي للثورة وأعجب كريم بلقاسم شخصيا بهذا الموقف. [38].

ـ **خلق روح التواصل بين الشعبين الليبي والجزائري:** لم يقتصر هذا على القيادات الرسمية ولكنه خلق أجواء عامة ساهمت في تمسك الشعب الليبي بالدعم للجزائر بكل القوى المتاحة، المال، وجلب السلاح، وربما البلد الأكبر الذي كانت بلاده مفتوحة للتنقل وجلب السلاح والمال دون حرج رغم الضغوط الممارسة. كما تجلى في موقف الملك ادريس السنوسي الداعم باستمرار وقد قال أثناء لقائه مع لمين دباغين وأحمد توفيق المدني في 1956 أن جهاد الجزائر هو جهاد الشعب الليبي وأنه جهاد إسلامي ومن تخلف عنه فقد خان الله ورسوله وأن الأمر يعني الشعب الليبي وحكومته. [39].

كما كان لرئيس الحكومة الليبية مصطفى بن حليم موقف غير متردد تجاه الثورة الجزائرية وفتح أراضيه أمام تدفق السلاح وعبور الشخصيات القيادية للثورة وأعطى الأوامر لقادة الجيش بتسهيل ذلك وأدلى أنه في خدمة كل طلبات الثورة أو التوسط لشراء السلاح أو أي مسعى دبلوماسي. وفعلا فقد كانت ليبيا أرضا ومطارات وموانئ مفتوحة أمام خدمة الثورة وقادتها ومكانا لعقد جلسات ولقاءات قادة الثورة أو مجلسها الوطني [40].

وظل الأستاذ محمد الصالح بليبيا لغاية الاستقلال وقيل إنه تأسف لنتائج مؤتمر طرابلس، كما طلبت منه القيادة البقاء هناك لمواصلة عمله الإعلامي والتواصل مع الليبيين لما له من علاقات مع زعماء ليبيا ومثقفيها، فمكث هناك ستة أشهر ودخل الجزائر في 1963.

12. خاتمة:

إن تناول مثل هذه الشخصيات يتطلب الإحاطة بمختلف الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية لتشكيل صورة متكاملة يمكن من خلالها رسم ملامح هذه الشخصية. وخاصة أننا أمام علم من أعلام النضال والقلم وله من الإنتاج الأدبي والتاريخي ما يستوقف الباحث والقارئ عموما. فالشيخ محمد الصالح

الصديق من الناحية الشخصية له من الإرادة والكاريزما ما جعله يتحدى مختلف الصعاب والظروف من أجل التحصيل والتكوين.

ومن جهة أخرى فقد جمع بين مواصلة التكوين العلمي والإبداع فيه وهو في مرحلة الدراسة والانخراط في العمل السياسي الذي حتمه عليه الواجب الديني والوطني. وكان هذا ديدن الكثير من طلبة الزيتونة الذين التحقوا بالثورة. وكانت تونس بالنسبة إليه حاضنة العلم والجهاد، من خلال العمل في الأوساط الطلابية والكتابة في الصحافة وخاصة جريدة المقاوم.

وأظهر العطاء السياسي الكبير أثناء تكليفه كمرشد سياسي للثورة في ليبيا وخاصة في الجبهة الأمامية بفزان الليبية وهذا من خلال: العمل الإذاعي واللقاءات العامة والندوات والعمل الصحفي والاتصال بالدبلوماسيين والشخصيات الداعمة للقضية الجزائرية، والمساهمة في رعاية الأيتام الجزائريات بليبيا. ولا ننسى أن مترجمنا أكمل المسيرة العلمية والجهادية والتعبئة السياسية باستمراره في إنتاج علمي غزير فاق المائة كتاب وهو عمل جبار وجهد يستحق التقدير لما له من فائدة علمية وتاريخية ومساهمة في تدوين التطور الاجتماعي والسياسي للجزائر.

الهوامش:

1- ففي مقابلة شخصية معه في سنة 2009 كان له من الكتب (101 كتاب) وقد بلغني أنه وصل إلى (104 كتاب).

2- محمد الصالح الصديق، **أعلام من منطقة القبائل**، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، ص 16.

3- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء**، القسم الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1981، ص44.

4- محمد الصالح الصديق بن محمد البشير بن محمد السعيد وكلهم من حفظة القرآن ومارسوا الإمامة والتدريس للعلوم الشرعية والعربية بمنطقة القبائل الكبرى.

5- من مواليد 1889 بقرية اسكرين وتوفي في 1968.

6- كان جده الشريف الافليسي (من جهة أمه) فقيها ومصلحا، وشقيقه الطيب من أبطال ثورة المقراني والشيخ الحداد، وتوفي بسجن الحراش على أيدي الاستعمار.

7- محمد الصالح الصديق، **رحلة في أعماق الثورة مع العقيد أعزوزن (بربروش)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 19.

8- كان هذا على إثر رحلة لنادي الترقي رفقة والده.

9- ومن أمثلة ذلك: شخصيات فكرية وأدبية، رحلتي مع الزمان، رحلة في أعماق الثورة...

10- أرزقي الشرفاوي، تحصل على شهادة العالمية من الأزهر وهو صهر محمد البشير. للمزيد أنظر: محمد الصالح الصديق، **رحلتي مع الزمان**، ج2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 180.

11- وهي خلاصة مداخلة قدمها الباحث التونسي حبيب اللولب في الملتقى الدولي حول العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس سنة 2013 بجامعة الوادي.

12- رجاء الصديق، **أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق**، تصدير: عبد الرحمان شيبان، وتقديم: أحمد بن نعمان، دار الأمة 2007، ص 168، وهذا الكتاب قدمه هو شخصيا لي كهدية في بيته.

13- المرجع نفسه

14- المرجع نفسه.

15- محمد الصالح الصديق، رحلتي مع الزمان، مصدر سابق، ص 432.

16- المصدر نفسه، ص 300.

17- المصدر نفسه.

18- عمار بن عودة، من مواليد 1925 بعنابة، انخرط في الكشافة، ثم حزب الشعب، ثم المنظمة الخاصة سنة 1947، وفر من السجن سنة 1947، وهو من أعضاء لجنة 22 المفجرة للثورة مارس عدة نشاطات في تونس، وليبيا ضمن الثورة وشارك في مفاوضات إيفيان، أنظر: مقلاتي عبد الله، **قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية**، ط1، منشورات بلوتو، الجزائر، 2009، ص 107، 108.

19- عامر مصباح، "**الينبوع الغزير**"، **أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق**، دار الأمة، الجزائر، 2007 ص 210.

20- محمد الصالح الصديق، رحلة في أعماق الثورة، مصدر سابق، ص 86.

21- محمد الصالح الصديق، **السراج المنير**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 294.

22- محمد الصالح الصديق، رحلتي مع الزمان، مصدر سابق، ص 101، 102.

23- المصدر نفسه، ص 303.

24- من مواليد 1918 بتقرت، والذي اشتهر بأشعاره.

25- محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مرجع سابق، ص 191.

26- قيل إنه انتحل بطاقة هوية لشخص عميل قتلته الثورة.

27- علي بن غانم، "**رمز العلم والجهاد والتضحية**"، **أضواء كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ، محمد الصالح الصديق**، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 192، 193.

28- قيل إن الذي التقاه عند نزوله بتونس هو محمد الشريف.

29- علي بن غانم، مرجع سابق، ص 193.

30- المرجع نفسه، ص 194 وهناك من ذكر 150 جنديا.

31- المرجع نفسه، ص 194.

32- المرجع نفسه، ص 196.

33- الطاهر نعاس، "**الينبوع الفياض**"، **الأستاذ محمد الصالح الصديق، أضواء كاشفة**، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 251..

34- محمد الصالح الصديق، **الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر**، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 140.

35- قيل إن الذي دشن صوت الجزائر وهو محمد الصالح الصديق وليس الدكتور لمين دباغين كما أدلى بذلك نور عبد القادر.

36- محمد الطاهر علجت، أضواء **كاشفة على محطات بارزة من حياة الأديب الأستاذ محمد الصالح الصديق**، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 217.

37- إسماعيل ميرة، **أضواء كاشفة**، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 60.

38- كان اسم هذه البنت عقيلة وأطلق عليها الملك اسم سلمى وكبرت وزوجها الملك.

39- رخيلة عامر، **الثورة الجزائرية والمغرب العربي**، المصادر، ع01، 1999، ص154.

40- المرجع نفسه، ص 155.